وهذا الرفض الاسرائيلي ملموس جدا ، وهو الذي يتحكم الان ، عمليا ، في مجرى التسوية السياسية في المنطقة ، ويمنع تحقيقها · وبهذا الرفض ، لا تكتفي اسرائيل فقط باتباع سياسة قد تفوت عليها فرصة الوصول الى سلام مع العرب، او مع بعضهم على الاقل ـ وهذا ، على حد زعمها ، حلمها القديم ـ بل انها تتخذ مواقف لا تحظى بتأييد اية دولة في العالم تقريبا ، بما في ذلك اكبر مؤيديها ومتعهدي وجودها ، وعلى رأسهم الولايات المتحدة · ورفض كهذا ، في اوضاع كهذه ، لا بد ان يكون جديا وعميقا للغاية ، كما ان دوافعه واسبابه عديدة ومتنوعة ، منها العقائدي و « التاريخي » والمستقبلي وغيرها ·

العقيدة الرافضة

لعل اولى اسباب الرفض الاسرائيلي لمعادلة التسوية المطروحة في المنطقة ، على اساس الانسحاب مقابل السلام ، كامن في العقيدة الصهيونية نفسها ، والاهداف التي تتطلع اليها و « الاماني » التي يصبو الصهيونيون والاسرائيليون الى تحقيقها ، كما تعبر عنها تلك العقيدة ، بالتغييرات التي ادخلت عليها من حين الى اخر ·

فالعقيدة الصهيونية لم تكن يوما ما ثابتة او « متحجرة » ، بل على العكس كانت دائما وابدا « مرنة » و « فضفاضة » · وعلى عكس الرأي السائد القائل ، مثلا ، ان هدف الصهيونية هو اقامة دولة يهودية في فلسطين ، لم يكن هذا دائما هو الهدف الصهيوني الرسمي المعلن بالضبط ، بل انه مر في مراحل عدة ، لم يكن خلال بعضها متجانسا بالضرورة مع الدعوة الى اقامة دولة يهودية او التطلع لذلك · والسبب ناجم ، اساسا ، عن حرص الصهيونيين على تجنب الالتزام باهداف ليس من السهل تحقيقها ، او الاعلان عن نيات قد تثير نفورا او استهجانا لدى الاخرين ، مما قد يعرقل تنفيذها ، او الكشف عن مطامع قبل حلول موعدها ، مما قد يدفع الى مقاومتها · ولذلك تطورت العقيدة الصهيونية واتضحت معالمها اكثر فأكثر بشكل تدريجي ، مع ازدياد الصهيونيين صلابة في عودهم واتساع قواعدهم ونمو قوتهم ، وكلما انتهت ، او انهيت ، مرحلة ، حققت خلالها مكاسب معينة ، تغيرت العقيدة ، رسميا على الاقل ، واصبحت اكثر وضوحا في سعيها وراء اهداف اخرى موسعة ـ « والشهية تأتي مع الاكل » ·

وهذا الوصف لكيفية تطور العقيدة الصهيونية ، وبالتالي اتضاح اهدافها ، يكاد يواكبها منذ نشأة الحركة الصهيونية المنظمة وحتى اليوم · ففكرة اقامة دولة يهودية في فلسطين ، مثلا ، طرحت من قبل اكثر من مفكر او زعيم صهيوني، ومن بينهم هرتسل نفسه ، خلال النصف الاخير من القرن الماضي (وطرحت ايضا قبل ذلك) · الا ان هرتسل اياه ، عندما اتجه سنة ١٨٩٧ الى عقد المؤتمر